

The dilects of Arabian Tribes and the philosophy of revelation of Quran in the dilect of Quresh.

This article is related to the dilects of Arab, Their qualities and shortcoming and the revelation of Quran in the dilect of Quresh and its philosophy. Its conventional meaning and contextual meaning are used in the same sense. Consequently it means that the inhabitant of an area and their way of conversation which differentiated them from the other is called accent or dilect (Lahja). From this definition, we say that a language can be divided in to different dilects due to the variance of the dilects of speakers. Although all these dilects attributed to one language, the discrimination in dilects is such a fact that it is impossible for any language to escape from its grip.

The Arabic language originated from the Arabian Island. There it was born and flourished. As long as the Arabs remained confined to this area, their language amalgamated like the language of a tribe. But when the speakers, due to different economical and social reasons, left the island of Arabs to settle in other regions, resulting in lack of relationship and mutual communication the difference arose in the various dilects of the citizens of different areas. When these differences proceeded further, they became so vast that every tribe adopted their own permanent and separate language as compare to others. The variation had revealed forms. Among them the prominent difference was in words, phrases, vowel points, masculine and feminine gender, and plurality and singularity.

Apart from them there was one other form of discrimination which is known as (Tassarof) such as "Kashkasha" of "Rabia and Muzar", "Shahshana" of Yemenis and "Auana" of Tameem and Qais". These "Tassarofat" of various tribes would not be considered as their good qualities but bad one. None of the dilect of the tribe was free from those discrepancies. Among them only the Quresh have a dilect which neither had the "Fahfaha" of "Huzael" nor "Tamtamanian" of "Hemyer" and "Ajaja" of "Quzas". Besides the salient features of the Quresh are that they were professionally businessmen. They travelled from one place to the other and benefited from the various languages of different tribes. They selected those words from these languages which attractive and those which were disliked, they rejected. In this way their dilect had become the amalgamate of the dilects of all Arab tribes. Consequently, the dilect of Quresh not only remained the dilect of Quresh but became a common dilect among all the tribe as common language.

Poets expressed themselves and speakers composed their speeches, in this common language, this is called "Al-Lugat-e-Fusha & Arabi-e-Mubena". It has also the characteristics that in the surrounding of Arabs. This dilect adopted all the words which interpreting the religious thoughts of all nations, who were living in

the surrounding of Arabs. Only the Qureshian language can fulfill all the vast religious vocabulary which the Quran need for. For this reason the most eloquent of Arabs, Prophet (SAW) also belonged to this tribe.

The qualities of the dialect of Quresh made this dialect the most eloquent. That is why all linguistic scholars agree that Qureshian dialect is the most exalted standard of eloquence. Anything which has related to Qureshian dialect can not be objected, It is said that a language which is made of amalgamation of different languages is to be regarded the most comprehensive language and this has another brilliant characteristics that in a city like Makkah where all the tribes used to come, despite it maintained its standard of eloquence.

لهجات قبائل العرب ونزول القرآن بلهجة قريش

د. فقير حسين ☆

اللهجة لغة:

روى اللهجة بسكون الهاء وفتحها، لكن الفتح أفصح. (١)

وقال ابو حاتم عن الأصمعي: اللهجة الهاء ساكنة. يفهم من معناها في المعاجم العربية أنها اللغة أو

طريقة أداء اللغة أو النطق أو جرس الكلام ونغمته. وقيل: لهجة اللسان ما ينطق به من الكلام. (٢)

وعرّفها ابن منظور الأفریقی فقال: وهى لغته التى جبل عليها فاعتادها ونشأ عليها. (٣)

وفى الحديث: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذى لهجة أصدق ولا أوفى من أبى ذر. (٤)

وفى الحديث الآخر: أن ابالدرداء قال: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذى لهجة أصدق

منك يا ابادر. (٥)

اللهجة مصطلحا:

ويعرّفها المحدثون بأنها: الصفات أو الخصائص التى تتميز بها بيئة ما فى طريقة أداء اللغة أو النطق. فبناءً

على ذلك التعريف اللغة الواحدة قد تنقسم الى عدة بيئات لغوية لكل منها لهجة خاصة أو صفات لغوية معيّنة

ويشترك أفراد البيئات المختلفة أو المتكلمون باللهجة المتعددة وأن الاختلاف فى اللهجات أمر طبعى

لا يمكن للغة أن تتخلص منه. تعرّض ذلك الاختلاف للغة العربية كما تعرّض سائر لغات العالم.

موطن اللغة العربية الاول:

اللغة العربية هى احدى اللغات السامية، نبتت من نفس الجذور وانبعثت من ارض واحدة لكنه

لما رحلت الأقوام السامية الى مناطق مختلفة بسبب ازدهام السكان بدأت لغاتهم تختلف عن بعضها البعض

بسبب تباعد بعضهم عن بعضهم واختلاطهم باناس آخرين. ثم بسبب انقطاع العلاقات بينهم واثار البيئة

المحيطة بهم ومرور السنين الطويلة ازداد الاختلاف على قدر حتى أصبحت كل لهجة لغة مستقلة.

لهجات قبائل العرب ونزول القرآن بلهجة قريش

ان أول موطن العرب هو جزيرة العرب، بها ولدوا وفيها نشأوا وعاشوا مثل قبيلة واحدة، لم تكن اى اختلاف فى لغتهم ولهجتهم، لكن لما خرجوا منها وانتشروا الى بلاد اخرى نشأ الاختلاف تلدى لغاتهم يوما فيومائم اتسعت فحوة الاختلاف فى لغاتهم. وتلك الاختلاف أدت الى تباعد كبير فى اللغة الى درجة حتى خيل أن اللغة انقسمت الى لغات كثيرة بحيث أصبحت كل لهجة غير مفهومة بالنسبة للمتحدث بالللهجة الأخرى وكانت هذه اللهجات لم تكن متقاربة فى الاصل، حتى قال عمرو بن العلاء: ليست لغة حُمير بلغتنا ومعجمهم بمعجمنا. (٦)

وجوه اختلاف اللهجات:

كان ذلك الاختلاف على عدة وجوه:

أحدها: اختلاف الكلمات. والمراد باختلاف الكلمات أن بعض القبائل يستخدمون لمعنى لفظا وغيرهم يستخدمون لذلك المعنى لفظا آخر. كما روى عن الأصمعى أن رجلا دخل على ملك بنى ظفار، فقال له الملك: ثَبَّ، و"ثَبَّ" بالحميرية: اجلس، فوثب الرجل، فانتدقت رجلاه فضحك الملك، وقال: لست عندنا عربيت. (٧)

وروى أن زيد بن عبد الله بن دارم وفد على بعض ملوك حمير فألفاه فى متصيد له على جبل مشرف فسلم عليه وانتسب له، فقال له الملك: ثَبَّ، أى: اجلس، فظن الرجل أنه أمر بالوثوب من الجبل فقال ستجد نى أيها الملك مطواعا ثم وثب من الجبل، فهلك، فقال الملك ماشأنه فخبروه بقصته وغلطه فى الكلمة فقال: أما انه ليست عندنا عربيت. من دخل ظفار حمّر، أى: فليتعلم الحميرية. (٨)

وفى الحديث أن عامر بن الطفيل قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبه وسادة أى: أفرشه اياه. والوثاب الفراش بلغة حمير. (٩)

ومنها: اختلاف الحركات

كما أن قريشا يفتحون حروف المضارعة فيقولون يضربون وبنو أسد يكسرونها فيقولون يضربون. قال ابن فارس فى فقه اللغة: اختلاف لغات العرب من وجوه: أحدها: الاختلاف فى الحركات، نحو نستعين ونستعين بفتح النون وكسرها (١٠)، قال الفراء: هى مفتوحة فى لغة قريش، وأسد وغيرهم يكسرها. (١١)

ومنها: اختلاف الإعراب،

نحو أن قريشا يستعملون "ما" المشبهة بليس فيقولون "مازيد قائما" وبلغتهم نزل المصحف حين قال تعالى: ما هن أمهاتهم. وبعضهم.... وهم بنو تميم.... يهملونها فيقولون "مازيد قائم".^(١٢) قال بعض منهم:

ومفهمف الأعطاف قلت له انتسب فأجاب ماقتل المحب حرام^(١٣)

فرفع خبر "ما" الذي هو "حرام".

ومنها: اختلاف التذكير والتأنيث،

فمنهم من يذكر "النخل" ويقول: هذا البقر وهذا النخل، ومنهم من يؤنثها ويقول: هذه البقر وهذه النخل.

ومنها: اختلاف تقديم الحروف وتأخيرها، فبعض القبائل يقولون: صاعقة، وآخرون يقولون: صاعقة.^(١٤)

ومنها: اختلاف الصيغ،

فمنهم يجمع "أسير" على أسرى، ومنهم من يجمعها على أسارى. والى غير ذلك من أنواع الاختلاف.

وكان للاختلاف نوعا آخر وهو تصرفهم في الحروف، نحو:

الكشكشة:

في ربيعة ومضر، يجعلون بعد كاف الخطاب في المؤنث سينا فيقولون في رأيتك: رأيتكس ومنهم من يجعل الشين مكان الكاف فيقولون في مررت بك: مررت بش. وقد تروى الكشكشة لأسد وهو أذن وهي لهجة أهل اليمن اليوم.

قال ابن جنى في سريانة العرب: ومن العرب من يبدل كاف المؤنث في الوقف شينا حرصا على البيان، لأن الكسرة الدالة على التأنيث فيها تخفى في الوقف، فاحتاطوا للبيان بأن أبدلوا شينا فقالوا: عليش و منش ومررت بش وتحذف في الوصل.^(١٥)

لهجات قبائل العرب ونزول القرآن بلهجة قريش

الكسكسة:

فى ربيعة ومضراًيضاً، يجعلون بعد الكاف أو مكانها سينا، مثلاً: كيف هالكس؟ أو: كيف حالس؟ فى مكان: كيف حالك، وهى تكثر بنجد وشمالها اليوم. (١٦)
وفى حديث معاوية: تياسروا عن كسكسة بكر يعنى ابدالهم السين من كاف الخطاب. (١٤)

الشنشنة:

فى لغة اليمن، يجعلون الكاف شينا مطلقا فيقولون فى لييك اللهم لييك: لبيش اللهم لبيش.

العنعة:

فى لغة تميم وقيس، يجعلون الهمزة المبدوء بها عينا فيقولون فى إنك: عنك وفى أسلم: عسلم، وفى إذن: عدن. (١٨)
وفى حديث قيلة: تحسبنى عنى نائمة. أى: أنى نائمة. (١٩)

الفحفحة:

فى لغة هذيل، يجعلون الحاء عينا فيقولون فى مثل حلت الحياة لكل حى: علت العياة لكل عى. وفى مصنف ابن أبى شيبة: الفحفحة وهى قلب حرف الحاء الى عين حتى تصير عتى وهى عند هذيل. (٢٠)
وعلى لغتهم قرأ ابن مسعود عتى حين فى قوله تعالى: ليسجننه حتى حين، فأرسل اليه عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أن القرآن لم ينزل على لغة هذيل، فأقرئ الناس بلغة قريش. (٢١) وعن عمر رضى الله عنه أنه سمع رجلا يقرأ: عتى حين، فقال من أقرأك؟ قال: ابن مسعود، فكتب اليه: ان الله أنزل هذا القرن فجعله عربيا وأنزله بلغة قريش فأقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل. والسلام. (٢٢)

الوتم:

فى لغة اليمن، يجعلون السين تاءً فيقولون فى الناس: النات. (٢٣)

الطمطمانية:

فى لغة حمير، يبدلون لام التعريف ميما، وعليها جاء الحديث: ليس من امبرامصيام فى امسفر، أى: ليس من البرالصيام فى السفر. (٢٤)

لهجات قبائل العرب ونزول القرآن بلهجة قريش

وفى حديث أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أنه دخل على عثمان وهو محصور، فقال: الآن طاب امضرب، أى: حل القتال، أراد طاب الضرب. (٢٥)

الثالثة:

وهى كسر أول حروف المضارع نحو: تعرف وتعلم.

الاستنطاء:

فى بعض قبائل هذيل والأزد والأنصار، يجعلون العين نونا، مثل: أنطى مكان أعطى. (٢٦) وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال: اللهم لا مانع لما أنطيت ولا منطى لمانعت. (٢٧) وفى الحديث: اليد المنطية خير من اليد السفلى. (٢٨)

العجعة:

فى قضاة. يجعلون الياء المشددة جيما فيقولون تميمج بدلا تميمى. ويشترط بعض العلماء شرطين هما الياء المشددة والوقف. ونسبت هذه اللهجة الى سعد بن بكر وهذيل والأزد وقيس والأنصار.

الرسو:

ابدال الصاد من السين والزاي والعكس وذلك معروف فى القرآيات لدى أهل اللغة نحو: ن والقلم وما يسطرون (٢٩) يصطرون) و: لست عليهم بمسيطر. (٣٠)

الخلخانية:

فى لغة الشحرو عمان. فيحذفون بعض الحروف اللينة فى نحو ماشاء الله: ويقولون: ماشا الله، وغير ذلك.

مزايا لغة قريش:

لغة خالية من العيوب:

لم تكن تعد هذه التصرفات منهم حسنا فى الكلام بل كانت تحسب نقمة وعيبا. وما كانت من لغة من لغات القبائل برئت من هذه العيوب الا لغة قريش، لم تكن فى لغتهم عنعنة تميم وتلتله بهراء وكشكشة

لهجات قبائل العرب ونزول القرآن بلهجة قريش

ربيعة وكسكسة بكر. ليس فيهم غمغمة قضاة ولا طمطمانية حمير، كما روى عن الأصمعي:

أن معاوية قال ذات يوم لجلسائه: من أفصح العرب؟ فقام رجل من السماط فقال: قوم تباعدوا عن عنعنة تميم وتلتله بهراء وكشكشة ربيعة وكسكسة بكر. ليس فيهم غمغمة قضاة ولا طمطمانية حمير، فقال: من أولئك؟ قال: قومك يا أمير المؤمنين. (٣١)

هذه الميزة هي التي سوّدت لغة قريش على غيرها من اللغات وصيّرتها أفصح العرب.

قريش هم أفصح العرب:

قال ابن فارس في فقه اللغة: باب القول في أفصح العرب: أجمع علمائنا بكلام العرب، والرواة لأشعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالهم أن قريشا أفصح العرب السّنة وأصفاهم لغةً، وذلك أن الله تعالى اختارهم من جميع العرب واختار منهم محمدا فجعل قريشا قطان حرمه وولاية بيته، فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يفدون إلى مكة للحج ويتحاضرون إلى قريش في دارهم وكانت قريش مع فصاحتها وأحسن لغاتها ورقة السّنتها إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفي كلامهم فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى سلائقهم التي طبعوا عليها، فصاروا أبذل أفصح العرب. (٣٢)

ألا ترى أنك لا تجد في كلامهم عنعنة تميم ولا عجرة قيس ولا كشكشة أسد ولا كسكسة ربيعة ولا كسرأسد وقيس.

وقال الفراء: كانت العرب تحضر الموبس في كل عام وتحج البيت في الجاهلية وقريش يسمعون لغات العرب، فما استحسوه من لغاتهم تكلموا به، فصاروا أفصح العرب وخلت لغتهم من مستبشع اللغات ومستبشع الألفاظ. (٣٣)

لغة قريش لغة مشتركة:

وللغة قريش ميزة أخرى وهي أنها لغة مشتركة بين جميع القبائل. كان العرب ينظمون بها شعرهم وخطابهم واصطلحوا على هذه اللهجة الفصحى. وهذه اللهجة أو اللغة المشتركة يطلق عليها أحيانا لغة قريش التي نزل بها القرآن الكريم ووصلنا بها إلى الشعر الجاهلي ولقد كان لقريش الحظ الأوفر من هذه اللغة التي حدت حتى أن الباحثين اضطروا أن سموها بالقرشية كما استقر في نفوس الأسلاف أن هذه اللهجة الفصحى إنما هي لهجة قريش. وذلك لأن لغة قريش لم تكن لغة قبيلة بل كانت عَصارة لغات جميع القبائل

لهجات قبائل العرب ونزول القرآن بلهجة قريش

وفذلكتها. كما صرح أهل اللغة بأن أهل الحجاز كانوا يختارون من اللغات أفصحها ومن الألفاظ أعدلها فيستعملونه، ولذلك نزل القرآن بلغتهم وأن منهم أفصح العرب صلى الله عليه وسلم وما ثبت أنه من لغتهم لا يجوز القول بعدم فصاحته. (٣٢)

لغة قريش أشمل اللغات:

كثيرا ما يرى الناس أن لغة القبيلة التي لا تتخالط غيرها من الشعوب والأمم وتعيش وحدها تكون صافية من دخان الامتزاج والاختلاط. هذا القول سديد من ناحية ولكن فيها نظر من أخرى، لأن الأمم التي تعيش وحدها تصير لغاتها محدودة ومفلسة. من أجل ذلك ما زالت الأمم الوحش عاجزة عن أداء الأفكار الواسعة الحاسمة، فبناء على ذلك لغات الأعراب وإن تخلو من آثار اللغات الأخرى لكنها عاجزة عن بيان احساس اللطيفة والخواطر الرفيعة.

قبل الاسلام بمائتي سنة ما كانت من قبائل العرب قبيلة بارزة الاحياء قريش بأنهم كانوا يختلفون للتجارة من ناحية من أرض العرب الى ناحية أخرى ومن بلد من بلاد العجم الى بلد آخر، فبذلك كانت لغتهم أصبحت أوسع اللغات ثروة وأغزرها مادة وأبعدها عن اللهجات المعيبة. وكان لابد من لغة تستطيع أن تؤدي الأفكار الدينية التي لم تكن توجد في اللغة العربية حتى الآن والتي توجد في حبرها الفاظ وافرة لأداء هذه الأفكار وترتبط لغات المذاهب القديمة كي تستعير منها الفاظا شتى. وما كانت تتأهل لذلك اللغة قريش.

هكذا كان العرب وان كانت في كل ناحية من بلادهم بيوت محلية للأصنام يحجون بها ويعقدون حفلاتهم المحلية لكن ما كانت تنعقد نديهم السنوية الا بمكة، بل كانوا يجتمعون فيها من جميع البلاد. وكانت سوق عكاظ أكاديمية العرب. من أجل ذلك كانت لغة مكة فذلكة جميع اللغات وعصيرها. عندما يجتمع العرب في مركز واحد كان شعراء العرب يستخدمون لكلامهم لغة عامة مشتركة بين الناس يفهمها كل منهم. وذلك واضح أنها لم تكذب تتأهل لذلك اللغة قريش، من أجل ذلك مع أن جميع اختلافهم الشعبية توجد في كلام الشعراء المماثلة.

قال ابن حجر: هناك لغة مشتركة كان العرب ينتظمون بها شعرهم وخطابهم وانهم اصطحوها على اللهجة الفصحى، وهذه اللهجة واللغة المشتركة يطلق عليها أحيانا لغة قريش التي نزل بها القرآن الكريم. (٣٥)

وقال ابن المنظور الأفریقی: ولغة قريش التي عزت كل ألسنة العرب بعد وثبتها ورقتها وسلاستها

لهجات قبائل العرب ونزول القرآن بلهجة قريش

ونصاعتها وأصبحت اللهجة الرسمية لألسنة العرب جميعا وبها خطب الخطباء ونطق الحكماء وهتف الشعراء. (٣٦)

قال ابوبكر الصديق رضى الله تعالى عنه : قريش هم أوسط العرب فى العرب وأحسنه جوارا وأعربه السنة. (٣٧)

وقال ابونصر الفارابى : كانت قريش أجود العرب انتقادالأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموعا وأبينها ابانة لما فى النفس. (٣٨)

وقال ابو الفضل : أفصح الخلق على الاطلاق سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال صلى الله عليه وسلم: أنا أفصح العرب. (٣٩)

ورواه أيضا بلفظ "أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أنى من قريش. (٤٠)

ونقل عن أبى الخطاب بن دحية : اعلم أن الله تعالى لما وضع رسوله صلى الله عليه وسلم موضع البلاغ من وحيه ونصبه منصب البيان لدينه اختار له من اللغات أعربها ومن الالسة أفصحها وأبينها ثم أمده بجوامع الكلم. (٤١)

لغة قريش هى لسان عربى مبين :

وعليها يطلق العربى المبين وبها أنزل القرآن. معنى "المبين" الذى يظهر ويوضح ويبرز. أراد أكثر المفسرين بالمبين ذلك المعنى اللغوى، ومرادهم بذلك أن القرآن أنزل بلسان هى فصيح، يفتح فيها المعانى ويتضح بها المطالب، لادقة فيها للفهم. والمبين الآن صارت علما. واللسان العربى كان منقسما بين لغات ولهجات حين ظهور الاسلام، واللغة الفصحى كانت اسمها اللسان العربى المبين. كما أنطلق اسم الاردية على كل من لغات لاهور والدهلى واللكنؤ وبنارس وبتنة وكلكتة ودهاكة وحيدرآباد وبمبئى ومدراس وفيها اختلاف الألفاظ واللهجات والتذكير والتأنيث والقواعد من وجوه واسم الاردية تشمل جميعها، لكن الفصحى منها نسميها "اردوئى معلى" التى يتكلم بها أهل حصن الدهلى أو هى لغة أهل النظم والنثر. كذلك مع رغم الاختلاف كانت من لغات العرب لغة كان الشعراء ينتظمون بها كلامهم ويتكلمون بها فيما بينهم ويعبرون عما فى أنفسهم. وذلك اللسان العربى المبين.

أجمع أهل العلم باللغات أن الفصحى من لغات القبائل لغة قريش.

قال النبى صلى الله عليه وسلم:

لهجات قبائل العرب ونزول القرآن بلهجة قريش

أنا سيد ولد آدم بيدأني من قريش ونشأت في بني سعد وأسترضعت في بني زهرة. (٢٢)

وفي رواية:

أنا أفصح العرب بيدأني من قريش. (٢٣)

وروى الطبراني في المعجم الكبير من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب، أنا أعرب العرب، ولدتني قريش ونشأت في بني سعد بن بكر فإني يأتي اللحن؟ (٢٤)

وقال ابن الأثير:

وقد عرفت -أي ذلك الله وإيانا بلطفه وتوفيقه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفصح العرب لساناً وأوضحهم بياناً وأعذبهم نطقاً وأسدهم لفظاً وأبينهم لهجة وأقومهم حجة وأعرفهم بمواقع الخطاب وأهداهم إلى طرق الصواب تأييداً الهيئاً ولطفاً سماوياً وعناية ربانية ورعاية روحانية حتى لقد قال له علي بن أبي طالب كرم الله وجهه -وسمعه يخاطب وفد بني نهد: يا رسول الله نحن بنو أب واحد ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره فقال أذنبني ربي فأحسن تأديبي وربيت في بني سعد. فكان صلى الله عليه وسلم يخاطب العرب على اختلاف شعوبهم وقبائلهم وتباين بطونهم وأفتادهم وفصائلهم كلاً منهم بما يفهمون ويحدثهم بما يعلمون. (٢٥)

معنى نزول القرآن على سبعة أحرف:

يمكن أن يخطأ أحد فيقول كيف انزل القرآن بلغة قريش وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أنزل على لغة سبع قبائل كما روى الشيخان عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن هذا القرآن انزل على سبعة أحرف فاقروا ما تيسر منه. (٢٦)

هذا الحديث صحيح باعتبار السند ولكنه خبر واحد باعتبار التداول.

فاختلف العلماء في معنى الأحرف، فنقل صاحب الفتح ابن حجر العسقلاني رحمه الله في ذلك أربعين قولاً. ونقل ابن العربي خمسة وأربعين قولاً. نذكر منها أربعة:

(١) أراد بعض العلماء بسبعة أحرف القرآء السبعة. لكن في قبول هذا القول اشكالاً لأن القراء السبعة النافع وابن كثير وعبد الله بن عامر والعاصم وحمزة والكسائي وأبو عمر لم يأتوا إلا بعد زمن النبي صلى الله

لهجات قبائل العرب ونزول القرآن بلهجة قريش

عليه وسلم بأقل من قرن وأن القراءات المتواترة لم تنحصر في السبعة بل تثبت أكثر من ذلك. ووجه شهرة هؤلاء القراء أن العلامة مجاهد جمع في كتابه قراءاتهم ولم يرد بذلك أن القراءات المتواترة تنحصر في قراءاتهم ولم يعن بذلك أن يفسر سبعة أحرف بالقراءات المتواترة. (٣٤)

(٢) وأراد بعضهم بها القراءات المتواترة والمراد بسبعة ليس العدد بل المراد بها المبالغة لأن عدد السبعة قد تستعمل للمبالغة كما يستعمل للعدد. وبه قال القاضي عياض من المتقدمين والشاه ولي الله من المتأخرين.

هذا القول ليس سديداً لأن البخاري روى عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف. (٣٨)

ونقل مسلم هذه الرواية مفصلاً عن أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عند حوض بني غفار فاتاه جبريل عليه السلام، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن امتي لا تطيق ذلك، ثم أتاه الثانية، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرفين فقال أسأل الله معافاته ومغفرته وإن امتي لا تطيق ذلك، ثم أتاه الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على ثلاثة أحرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن امتي لا تطيق ذلك، ثم أتاه الثانية، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف، فأبى حرفاً قرأوا عليه فقد أصابوا. (٣٩)

(٣) وأراد الإمام الطبري وغيره من العلماء بها لغات قبائل العرب، فقالوا: إن العرب كانوا يسكنون قبائل شتى ولغة كل قبيلة كانت مختلفة مع أنها عربية فأجاز الله تعالى تيسيرها لهم أن تقرأ كل قبيلة القرآن من قبائلهم بلغتها. (٥٠)

ثم اختلف أهل هذا القول في تعيين القبائل:

فقال أبو حاتم السجستاني المراد من هذه: قريش وهذيل وتيم الرباب وازد وربيعة وهوازن وسعد بن بكر. ونقل الحافظ ابن عبد البر أن القبائل السبع هي: هذيل وكنانة وقيس وضبة وتيم الرباب واسد بن خزيمة وقريش. (٥١)

وردة هذا القول الإمام السيوطي وابن عبد البر والجزري وغيرهم بأن قبائل العرب كثيرة فتخصيص هذه السبعة ترجيح بلا مرجح.

لهجات قبائل العرب ونزول القرآن بلهجة قريش

وأيضاً بأن عمرو وهشام بن حكيم اختلفا في تلاوة القرآن الذى نقله الامام البخارى رحمه الله مفصلاً مع أنهما كانا قريشيان وصدق النبي صلى الله عليه وسلم كليهما.

واعترض على ذلك الامام الطحاوى رحمه الله أيضاً فقال: اذا سلم هذا القول فيلزم عنه مخالفة الآية كما قال تعالى: وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه. فقوم النبي صلى الله عليه وسلم كان قريشاً. فبان بذلك أن القرآن أنزل على لغة قريش لا غيره. ويؤيد قول الطحاوى عمل عثمان رضى الله عنه لما أراد أن يجمع القرآن مرة ثانية فأمر زيد بن ثابت وجمعا من الصحابة وقال لهم: اذا اختلفتم أنتم فى شئ من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فانما أنزل بلسانهم. (٥٢)

(٣) وقال الطحاوى وهو رأى الجمهور: ان القرآن أنزل على لغة قريش فقط ولكن العرب كانوا يسكنون قبائل شتى. فكان تلاوة كل واحد منهم على لغة قريش صعباً فرخص النبي صلى الله عليه وسلم لهم بداية أن يتلوه مع مرادفات لغاتهم خاصة للذين لم يكونوا يستطيعون أن يتلوه بأصل الفاظه. (٥٣)

كما روى ابو عبيد قاسم بن سلام عن ابن مسعود أنه أقرأ رجلاً: ان شجرة الزقوم طعام الأثيم، فقال الرجل: طعام البيتيم فرددها عليه فلم يستقم به لسانه فقال أتستطيع أن تقول طعام الفاجر؟ قال نعم قال فافعل. (٥٤)

فلما اتسع الاسلام وتعلم العرب لغة قريش وأطاقوا أن يتلوا القرآن بسهولة جاء جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقرأه القرآن على لغته التى أنزل بها وهذا يسمى بمعرضة الاخيرة فرفعت اجازة القراء ة بمرادفاته وبقي كما انزل.

نتيجة البحث:

والذى أرى أن القرآن قد أنزل على لهجة قريش لأن:

كانت لغتهم بريئة من جميع العيوب التى نشأت بتصرفاتهم ككشكشة ربيعة ومضروعة وتميم وفحفة هذيل. ولأن الله تعالى اختارهم من جميع العرب واختار منهم محمد صلى الله عليه وسلم أفصح العرب فجعلهم ولاة بيته الحرام، فكانت وفود العرب من الحجاج والمعتمرين وغيرهم يختلفون الى مكة وكانوا يتحاضرون الى قريش فى دارهم وكانت قريش يتخيرون من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم فصاروا أفصح العرب. ولأن لغتهم لم تكن لغة قبيلة واحدة بل كانت لغة مشتركة بين جمع القبائل وعصارة لغاتهم وفدلتها. ولأن قريش كانوا تجارا يختلفون من ناحية من أرض العرب الى اخرى ومن بلد

لهجات قبائل العرب ونزول القرآن بلهجة قريش

العجم الى اخر فبذلك أصبحت لغتهم أوسع اللغات ثروة وأغزرها مادة وأبعدها عن اللغات المعيبة ولأن أيضا كان لابد من لغة تستطيع أن تؤدى الأفكار الدينية التي لم تكن توجد في العرب حتى الآن والتي لديها الفاظ وفيرة لبيان هذه الأفكار الجديدة وترتبط لغات المذاهب القديمة كى تستعير منها الفاظا محتاجا اليها وماكنت تتأهل لذلك الالغة قريش.

المصادر والمراجع

- (١) الخليل بن احمد: العين، ٢٥٣/١
- (٢) جار الله الزمخشري، الفائق فى غريب الحديث والأثر: ج: ١، ص: ١٢٣
- (٣) ابن المنظور الأفريقى: لسان العرب تحت المادة.
- (٤) الامام الترمذى: سننه، باب مناقب ابى ذر
- (٥) الامام ابن ابى شيبة: المصنف . ج: ٨، ص: ٨٣
- (٦) جرجى زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية: ص: ٤٢
- (٧) ابو الفتح عثمان بن جنى الموصلى، الخصائص: ج: ١، ص: ١٢١
- (٨) جلال الدين السيوطى، المزهر: ج: ١، ص: ٨١
- (٩) المصدر نفسه
- (١٠) الصحابى فى فقه اللغة: باب القول فى اختلاف لغات العرب. ج: ١، ص: ٦.
- (١١) أيضا: ج: ١، ص: ٨٠
- (١٢) ابويشر عمرو بن عثمان المعروف بسبيويه: الكتاب. باب ما أجرى مجرى "ليس" فى بعض المواقع
- (١٣) ابن عقيل: شرحه على ألفية ابن مالك: فصل فى ما ولا وإن المشبهات بليس
- (١٤) ابن فارس: الصحابى فى فقه اللغة. ج: ١، ص: ٦.
- (١٥) ابو القاسم جار الله الزمخشري: المفصل فى صنعة الاعراب. ج: ١، ص: ٦٥.
- (١٦) الصاغانى: العباب الزاخر. ج: ١، ص: ٢٨٢
- (١٧) ابو الفيض محمد بن محمد الحسينى: تاج العروس من جواهر القاموس. ج: ١، ص: ٣٦٥٣

لهجات قبائل العرب ونزول القرآن بلهجة قريش

- (١٨) الصاغاني: العباب الزاخر: ج: ١، ص: ٢٨٢
- (١٩) ابن قتيبة: غريب الحديث: ج: ١، ص: ١٣٣
- (٢٠) الامام ابن ابي شيبة: المصنف: ج: ٤، ص: ١٥٨
- (٢١) ابن دريد، جمهرة اللغة: ج: ١، ص: ٤٩
- (٢٢) ابو القاسم جار الله الزمخشري: الكشاف: ج: ٣، ص: ١٦٨
- (٢٣) جلال الدين السيوطي: المزهري في علوم اللغة وآدابها: ج: ١، ص: ٤٠
- (٢٤) المصدر نفسه
- (٢٥) ابو عبيد قاسم بن سلام: غريب الحديث: ج: ٢، ص: ١٩٢
- (٢٦) الامام ابن ابي شيبة: المصنف: ج: ٤، ص: ١٥٨
- (٢٧) ابن سيده: المخصص: ج: ٣، ص: ٦٢
- (٢٨) الامام البيهقي: السنن الكبرى: ج: ٢، ص: ١٩٨
- (٢٩) الآيتان ٢، ١ من سورة القلم
- (٣٠) من سورة العاشية، الآية: ٢
- (٣١) الحريري: درة الغواص في أوهام الخواص: ج: ١، ص: ٦١
- (٣٢) ابن فارس: الصحابي في فقه اللغة، باب القول في أفصح العرب: ج: ١، ص: ٤
- (٣٣) جلال الدين السيوطي: المزهري: ج: ١، ص: ٤٠
- (٣٤) ابو العباس احمد بن محمد: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: ج: ٩، ص: ٣٠
- (٣٥) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، باب نزول القرآن بلسان قريش
- (٣٦) ابن منظور الأفریقی: لسان العرب: بذيل المادة .
- (٣٧) الأزهرى: تهذيب اللغة، ج: ١، ص: ٢٨٢
- (٣٨) جلال الدين السيوطي: المزهري في علوم اللغة وآدابها: ج: ١، ص: ٦٤
- (٣٩) ابن دريد: جمهرة اللغة: ج: ٢، ص: ٤١
- (٤٠) ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب عن كتب الاعراب: ج: ١، ص: ٢٣
- (٤١) محمد بن محمد الزبيدي: تاج العروس. المقصد الخامس: ج: ١، ص: ١١
- (٤٢) الأزهرى: تهذيب اللغة: ج: ٢، ص: ٨٨٢

لهجات قبائل العرب ونزول القرآن بلهجة قريش

- (٢٣) ابو السعادات المبارك بن محمد الجزري: النهاية في غريب الأثر، ج: ١، ص: ٢٢٤
- (٢٤) الطبراني: المعجم الكبير، ج: ٥، ص: ٢٤٤
- (٢٥) ابن الأثير: النهاية في غريب الأثر:
- (٢٦) محمد بن اسماعيل البخاري: الجامع الصحيح، باب: أنزل القرآن على سبعة أحرف
- (٢٧) المفتي محمد تقي العثماني: علوم القرآن، ص: ٩٩
- (٢٨) الامام محمد بن اسماعيل البخاري: الجامع الصحيح، باب: أنزل القرآن على سبعة أحرف.
- (٢٩) الامام مسلم بن الحجاج: الجامع الصحيح: رقم الحديث ١٣٥٤
- (٥٠) ابو جعفر محمد بن جرير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، باب القول في اللغة التي نزل بها القرآن، ج: ١، ص: ٢٨
- (٥١) محمود بن عبد الله الألوسي: روح المعاني، ج: ٩، ص: ٣١٦
- (٥٢) الامام محمد بن اسماعيل البخاري: الجامع الصحيح، باب: نزل القرآن بلسان قريش
- (٥٣) المفتي محمد تقي العثماني: علوم القرآن، ص: ١٠٢
- (٥٤) ابو عبيد قاسم بن سلام: فضائل القرآن، ج: ٢، ص: ١١١